

حجر رشيد والقلم الهير غليفى

للاستاذ عبد الفتاح الزىادى

مدرس تاريخ والجغرافيا والاقتصاد بدار العلوم العليا

تعالى الله كان السحر فيهم أليسوا بالحجارة منطقيين
(توق)

ان هذا الحجر وثيقة تاريخية خطيرة أدت الى فك رموز الكتابة الهيرغليفية (المقدسة) فتمت ما غلق من تلك المدينة المصرية القديمة التي ترعرعت على ضفاف النيل و دنت قطوفها حتى عمت جهات البحر الابيض الشرقية .

قد هذا الحجر من صخر البازلت ، وهو نوع من الحجارة البلوتونية السوداء المعروفة بصلابتها ، وهو يرى الآن قائما في الطرف الجنوى من غرفة الآثار المصرية بالمتحف البريطانى . أطلق عليه المؤرخون هذا الاسم بعد العثور عليه في مكان قريب من مصب النيل الغربى بالقرب من موضع رشيد . وقد قرر بعض المؤرخين انه كان ملقى على الأرض وقت ان عثر عليه ، وقرر آخرون انه وجد مبثرا داخل جدار قديم كان نابليون قد أمر ثلثة من جنوده بهدمه ليعز ذلك الحصن الذى عرف بعد ذلك باسم حصن « القديس جوليان » .

أما الذى عثر عليه فهو الضابط « بوسار » من فرقة المهندسين الذين راققوا نابليون في حملته على مصر في أغسطس سنة ١٧٩٩ وورق عتب ذلك الى رتبة جنرال « قائد »

لما لاحظ « بوسار » ما على وجه الحجر الامس من الخطوط والقوش الغريبة أيقن انها لابد ان تكون خطوطا من قلم خاص ، وسرعان ما كاشف رئيسه الجنرال « منو » بما لاحظته ، فأمره هذا بنقل الحجر الى منزله بالاسكندرية ، ففقد بوسار الامر وظل الحجر زمنا في بيت « منو » لا يعلم أحد من أمره شيئا حتى ادعى « منو » ملكيته واعتبره جزءا من متاعه الخاص

ولما علم نابليون بما كان من أمر هذا الحجر أصدر أمره للجنرال « منو » بنقله الى القاهرة فصدع منو بالأمر ونقل الحجر الى « المعهد الوطنى » الذى أسسه نابليون في المدينة ، وما ذاع خبر نقله

النسوية المختلفة . وكانت الديمقراطية الاشتراكية مع ذلك تشك في قيمة هذا الاتحاد وتحنى منه على مستحلبها وحقوقها اذا ما انتهى بالقضاء على استقلال النمسا . بيد أنها لم تعارضه بطريقة ايجابية ، وكانت تؤيد جانبه الاقتصادى على الاقل ، خصوصا وقد كانت الديمقراطية الاشتراكية الالمانية يومئذ صاحبة النفوذ والسلطان في المانيا . واتخذت أول خطوة عملية لتحقيق مشروع هذا الاتحاد في سنة ١٩٣١ حيث عقدت النمسا مع ألمانيا اتحادا اقتصاديا جرميا ، وكان المفهوم أنه أول مرحلة فقط ، ولكن دول الحلفاء ، ودول الاتفاق الصغير ، احتجت كلها على هذا الاتحاد بمنتهى الشدة . وانهى الامر بسحبه والغاءه ، وأدركت النمسا مرة أخرى انه لن يسمح لها بالاندماج في الجامعة الجرمانية الكبرى .

وكانت فكرة الاتحاد النمساوى الالمانى ما تزال قوية في النمسا حينما تولى الوطنيون الاشتراكيون الحكم في ألمانيا في يناير سنة ١٩٣٣ وأخذوا يعملون لتحقيق برنامجهم ، والمعروف أن العمل على تحقيق وحدة الشعوب الجرمانية في مقدمة المبادئ التى يحتويها برنامج المهرتلر ، وليس من ريب في أن ضم النمسا لألمانيا هو أهم عناصر هذا المشروع ، وكان المفهوم أن ظفر الوطنية الاشتراكية بالحكم في ألمانيا يقرب أمد هذه الغاية ، ولكن سرعان ما ظهرت الوطنية الاشتراكية الالمانية في ثوبها الحقيقى ، مسرفة في العنف والطغيان وسرعان ما أخذت الحكومة الهتلرية تتدخل في شئون النمسا وتعاملها بمحشونة وظظة كأنها ولاية تابعة لألمانيا . وهنا أدرك الشعب النمساوى حقيقة لم يتقدرها في البداية حتى قدورها ، وهو أن أنصار الجامعة الجرمانية لا يفهمون من الاتحاد الا أنه تضاد على كيان النمسا كامة مستقلة أو بعبارة أخرى ضم النمسا لألمانيا كولاية ألمانية . وشهد الشعب النمساوى في دهشة وسخط كيف تتجنى ألمانيا الوطنية الاشتراكية على النمسا ، وكيف يحاول الدعاة الهتلريون أن يضرموا في النمسا نار الحرب الأهلية لكي تقضى على وجودها ، وشهدت الديمقراطية النمساوية من جهة أخرى كيف قضى الهتلريون على الديمقراطية الالمانية في غمر من العنف المثير : عندئذ انهارت في الحال فكرة « الاتحاد » (الانشلاوس) ، وظهرت للشعب النمساوى في روعة خطرهما وخطئهما ، وبضمت حكومة الدكتور دولفوس ومن ورائها سواد الشعب ترد عدوان ألمانيا الهتلرية ، وتعمل لحماية الاستقلال النمساوى بكل ما وسعت من جهود .

محمد عبد الله عثمان

البحر بنة

النقوش وأرسلها إلى جامعات أوروبا ومكتباتها الشهيرة ومجامعها العلمية. وفي أواخر هذه السنة نقل الحجر من غرفة جمعية الآثار إلى المتحف البريطاني حيث نصب وعرض للجمهور لمشاهدته بين بقية التحف الأخرى.

وصف الحجر

إن حجر رشيد كما كشف قطعه عبر منظمه من صخر البازلت يبلغ طوله نحو ثلاثة أقدام وتسع بوصات ، ولا يتجاوز عرضه قدمين وأربع بوصات. أما سمكه فلا يزيد على إحدى عشرة بوصة. وليس في المكان تحديد الجزء الناقص منه تماماً ، إلا أنه من المين أن نحكم أنه كان أطول مما هو الآن بنحو اثني عشرة بوصة ، ويقلب على الظن أن الطرف العلوي منه كان مقوساً. وواجهة الجزء للمقوس كانت محلاة بنقوش تحوى صورة القرص ذي الاجنحة لهوروس اله أدفو. وفي أسفل القرص ذي الاجنحة كنت ترى صورة الملك واقفاً مع الملكة في حضرة جمع من الآلهة. وليس من الصعب أن تصور أن هذا الحجر وهو منصوب في المعبد بجانب تمثال الملك الذي صنع تخليداً لذكراه كان من أبرز الآثار وأخذها بالآلباب وأكثرها استعرا لل نظر.

أما النقوش على الحجر فقد كانت مرسومة بلغتين مختلفتين المصرية والاعريقية. وكان يعبر عن اللغة المصرية بنوعين من الكتابة: أولهما الهيروغليفى وهو القلم العتيق المستعمل منذ عهد الاسرات الأولى في تدوين كتاب الموتى والمراسيم المختلفة. وثانيهما الديموطيقى أى القلم العامى وهو المحرف عن القلم الهيرواطيقى الذى كان مستعملاً في نشر الاعمال الأدبية من تأليف وغيره.

وقد بطل استعمال الخط الهيروغليفى والديموطيقى عند مادخلت الديانة النصرانية في البلاد المصرية ، وحلت محلها حروف الهجاء القبطية المركبة من ألف باء يونانية ، ومن مستحرف توافق بعض اصوات مصرية ، وليس في اليونانية ما يعبر به عنها.

أما الكتابة الاعريقية المنقوشة على صفة الحجر فقد كانت عادية ومماثلة لما تحويه المخطوطات اليونانية القديمة. وبلاحظ أن للقسم الهيروغليفى على الحجر مكون من أربعة عشر سطراً فقط على حين أن ما يقابله من الاعريقى مكون من ثمانية وعشرين سطراً بينما تألف الديموطيقى من اثنين وثلاثين سطراً.

حتى تهافت عليه جمهور العلماء المراقبين لنابليون فأثار دهشتهم ، وأصبح منذ ذلك الحين موضع اهتمامهم واهتمام العاهل العظيم الذى رأى ضرورة فك طلاسم ما عليه من النقوش. أمر نابليون بأن تطبع من تلك الرسوم نسخ توزع على طوائف العلماء في أوروبا ، واستقدم لهذا الغرض اثنين من مهرة الطباعين في فرنسا وهما مارسل وجالان. أما الطريقة التى اتبعها في نقل النقوش ففى تلخيص فى أنهما أنشرا على وجه الحجر مداداً خاصاً. ووضعاً إدراج الورق فوق الحجر ضاغطين عليه بمضغ من مطاط حتى انطبعت الرسوم واضحة ، ثم وزعت النسخ المطبوعة على علماء العاديات الشرقية في أوروبا تنفيذاً لأمر نابليون ، وقد اختص المعهد الوطنى بباريس ، بنسختين وضعتا موضع بحث وتقيب قام به العلامة دوتيل ،

Dutheil

وصول الحجر الى إنجلترا

بعد أن أحرزه السير الف اركرمي ، الانجليزى النصر فى مصر بهزيمته الجنود الفرنسية سنة ١٨٠١ أبرمت معاهدة بين الانجليز والفرنسيين تنص المادة السادسة عشرة منها على أن يسلم الفرنسيون حجر رشيد مع آثار مصرية أخرى عظيمة الخطر كانت فى حوزتهم الى الجنرال هاتشنسون فى أواخر اغسطس من هذه السنة عنها ، وتنفيذاً لهذه المعاهدة شرع هاتشنسون يتسلم الآثار المصرية بدون كبير معارضة ويرسلها الى إنجلترا. ولما حان تسليم حجر رشيد اليه لاقى صعوبات جمّة ، إذ أن الفرنسيين كانوا قد أسرعوا عقب هزيمتهم الى نقل هذا الحجر الى الاسكندرية وأخفوه فى منزل الجنرال منو مدّة من الزمن بعيداً عن أعين الرقباء فلم يقف هاتشنسون له على أثر ، إلا أنه فى سبتمبر سنة ١٨٠١ عادت إنجلترا الى طلبه على يد الماجور جنرال تيرنر تنفيذاً لشروط المعاهدة المذكورة ، ملحة فى ضرورة تسليمه ، فلم ير الفرنسيون بدا من التنازل عنه والاسف يملاً قلوبهم. وأبحر به تيرنر على الباخرة (الاجيسين) ووصل بورتسموث فى فبراير سنة ١٨٠٢. وفى ١١ مارس أودع الحجر احدى غرف جمعية الآثار ببلدرة ، وبقي فيها بضعة شهور فحص فى أثنائها جماعة من علماء المشرق وعلماء الاعريق ما عليه من النقش ، وفى يولييه أمر رئيس الجمعية بصنع أربعة نماذج من الجبس على مثاله للجامعات أكسفورد وكمبريدج وادلبريد وبلن وطبع نسخاً من هذه

عند ما نشر كتابه خلاصة قواعد الكتابة الهيروغليفية مؤرخاً في هذا الكتاب أن الصيغ التحوية في الهيروغليفية توافق المصطلح عليها في اللسان القبطي . بهذا المجهود الجبار أصبح من التهل ترجمة المخطوط وقراءتها فلا شكور . بالذين اذا قرروا أن شامليون در الذي وقف على كنه أسرار الهيروغليفية وفتح الباب على مصراعيه للباحثين بعده :

ماذا على مبرر مبرر؟

ان المسطر على حجر رشيد هو صورة من القرار الذي اصدره مجلس الكهنة المصريين المجتمعين في عقيس للاحتفال باحيا . الذكرى الأولى لتتويج بطليموس ايفانس ملك مصر في ربيع سنة ١٩٦ ق . م . والصورة الاصلية للقرار كانت بالقلم الديموطيقي . أما الهيروغليفي واليوناني فكلاهما مترجم عن هذا الاصل . وتاريخ القرار حوالي اليوم الرابع من الشهر الاغريقي Xandiko (ابريل) وهو الموافق لليوم الثامن عشر من الشهر القبطي آشير ، ويتألف هذا القرار من فقرتين تحوى الفقرة الأولى القاب بطليموس الخامس ، وتووه بما يتحلى به الملك من الورع والتقوى وخشية الآلهة ووجه لمصر والمصريين — أما الفقرة الثانية فهي تعداد للنعم التي اسبغها الملك على البلاد وما أسداه للدين من خدمات . ويمكن تلخيص هذه النعم فيما يأتي :

- ١ — هبات مالية وعطايا من قح للمعابد والهيكل — ٢ — حبس أموال على المعابد والاعمال الدينية — ٣ — نقص الضرائب الحكومية الى النصف — ٤ — التنازل عن بعض الديون التي للحكومة على الأهلين — ٥ — اطلاق سراح المسجونين الذين قضوا معظم المدة في السجون — ٦ — العفو عن العصاة والسباح لهم بالعودة للبلاد والاقامة فيها — ٧ — ضرورة ارسال سرية عسكرية برا وبحرا ضد اعداء البلاد — ٨ — محاصرة بلدة Lycopolis ليكوبوليس وفتحها — ٩ — تجديد هياكل العجل ايبس ومعابده والحيوانات المقدسة الأخرى ووقف أموال عليها .

واعترافاً بهذه المبرات التي أسدتها الملك بطليموس الخامس قد قرر المجلس العام للتساوسة تخليد ذكرى الملك والاكتار من إقامة حفلات الذكرى ، وتلخيص قراراته فيما يأتي :

- ١ — صنع تماثيل لبطليموس بوصفه « منقذ مصر » تصب في المعابد ليقوم الكهنة والناس بعبادتها .
- ٢ — صنع صور ذهنية لبطليموس تحفظ في صناديق ذهبية

أثارت النقوش التي على الحجر حركة عنيفة من الترجمة والبحث بين العلماء ، وكان ستيفن وستن اول من وضع ترجمة القسم اليوناني ثم التي هذه الترجمة امام جمعية العاديات بلندرة سنة ١٨١٢ . وقام دوتى بنقل هذا الجزء الى الفرنسية فاذا به شرر رمزيه مرفوعان من كهنة الاسكندرية الى بطليموس ايفانس Epiphanes

وقام بدراسة الرموز الديموطيقية العالمان الشهيران سلفستردى ساسي وآ كربلاذ السويدي ، ونجح هذا في توضيح ما يرادف بالديموطيقية اسماء الاسكندر والاسكندرية ويطليموس واسيس واسماء الاعلام الأخرى ، ورنب حروف هجاء مستعملة في القلم الديموطيقي مازال العلماء يعملون على معظمتها ، واكثرها موافق للصحة وال ضبط . وقد وجه هذان العالمان اهتماما خاصا بالختانات الملوكية وأوضحا لمقابل ذلك في الهيروغليفية

وفي سنة ١٨١٨ كتب الدكتور توماس نيغ في دائرة المعارف البريطانية عن نتائج دراسته الشخصية في فلك رموز الحجر ، ونشر جريدة (قائمة) تحوى كثيراً من الحروف المقاطع الهيروغليفية . ويعتبر الدكتور نيغ بحق أول من أدرك فكرة القاعدة الصوتية في قراءة الهيروغليفية وطبق هذه القاعدة على حله بعض الرموز . ظلت أبجدية نيغ رهن التحول والتغير الى أن ظهر العلامة شامليون ، وهو من أبرز العلماء في جمع طلائع القلم الهيروغليفي اشتغل منذ نشأته بدراسة اللغات الشرقية ، واستوعب بنوع خاص آداب اللغة القبطية من الكتب الدينية والانايد الكنية التي نشرها أقباط مصر أتباع القديس سان مارك بالاسكندرية ، وقد استطاع شامليون بمعونة اللغة القبطية أن يدرك القيمة الصوتية لكثير من العلامات المقطعية .

وفي سنة ١٨٢٢ نشر جريدة (قائمة) بالحروف والمقاطع الهيروغليفية ، وأصلح بهذا بعض الأخطاء التي وردت في جريدة نيغ ، وقد شفع هذه الجريدة ببيان قواعد النحو عند المصريين الاقدمين فكان شامليون أول من أدرك أن الهيروغليفي يحوى علامات تدل على أفكار ومعان مستقلة بالفهم يمكن التلطف بها . وقد ضمن أول نتيجة ظهرت من أعماله في رسالة بعث بها الى الميبيو داسيه السكرتير الدائم في جمعية النقوش والآداب ، وطبعت هذه الرسالة وقابلها الناس أولاً بشئ من الاستنكار ، ولكنه أزال الشك